مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثاني والعشرون / رجب - رمضان ١٤٢٨ هـ ، اغسطس - اكتوبر ٢٠٠٧م

٢٢

- الروضة الشريفة : دراسة تاريخية توثيقية
- الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز
- الدورات قصيرة الأجل للضغط الجوي في منطقة المدينة المنورة .
- مخطوطات المدينة المنورة في مكتبة جامعة برنستون .

الروضة الشريفة

دراسة تاريخية توثيقية

(القسم الثاني)

أ. أحمد محمد شعبان

باحث في مركز بحوث ودراسات المدينة

أ. إبراهيم محمد الجهني

مساعد باحث في مركز بحوث ودراسات المدينة

تحدثنا في القسم الأول من هذا البحث – الذي نشر في العدد العشرين من هذه المجلة – عن الروضة الشريفة، ومعنى كونها من رياض الجنة، وبيَّنا حدودها، وأقوال العلماء في ذلك كله، ثم شرعنا في الحديث عن المعالم الموجودة داخل الروضة الشريفة، وختمنا الحديث عن المَعْلَم الأول منها وهو المنبر النبوي الشريف، ونتابع في هذا القسم الحديث عن بقية معالم الروضة الشريفة، ومن أهمها:

المحراب النبوي الشريف

والمحراب في اللغة: صدر المجلس، والمكان الرفيع من الدار[1]، ومنه أُخِذ المعنى الاصطلاحي، حيث صار يطلق على المكان المخصَّص لوقوف الإمام في صلاة الجماعة في المسجد.

---

(١) لسان العرب مادة (حرب).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولم يكن للمحراب في زمن النبي ﷺ بناء يميّزه عن سائر أجزاء المسجد؛ بل كل مكان داوم النبي ﷺ القيام فيه لإمامة المسلمين في الصلاة؛ يصح أن يُسَمَّى محراباً وأن ينسب إليه، فيقال فيه: هذا محراب رسول الله ﷺ، أو المحراب النبوي الشريف[١].

وعليه فقد كان للنبي ﷺ في المسجد النبوي الشريف ثلاثة محاريب:

الأول: المحراب الذي كان يؤم المسلمين فيه حين كانت القِبْلَة إلى بيت المقدس، ففي الصحيح[٢] عن البراء بن عازب ﷺ: (**كان رسول الله ﷺ يصلّي نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يُحِبُّ أن يُوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾**(البقرة: ١٤٤) **فتوجَّه نحو الكعبة...**) الحديث.

---

(١) وبناء على ذلك فإن ما ذكره السمهودي وغيره من أنه لم يكن للمسجد في عهد النبي ﷺ ولا في عهد خلفائه محراب؛ إنما يقصدون بذلك البناء المجوّف الذي أحدثه عمر بن عبد العزيز ﷺ في المسجد النبوي في توسعة الوليد، والذي صار منذ ذلك الحين هو المراد بـ«المحراب» كما سيأتي.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٥٥/١، رقم: ٣٩٠، باب التوجه نحو القِبْلَة حيث كان، ومسلم ٣٧٤/١ رقم: ٥٢٥، باب تحويل القِبْلَة من القدس إلى الكعبة. بالشك بين ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وفي رواية لمسلم ٣٧٤/١ نفس الباب السابق، ولابن خزيمة ٢٢٦/١ ستة عشر شهراً من غير شك، وكذا لأحمد ٢٥٠/١ رقم: ٢٢٥٢ عن ابن عباس بسند صحيح، وللبزار ٣٢٤/٨ رقم: ٣٣٩٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/١٧ من حديث عمرو بن عوف: «سبعة عشر شهراً» وكذا للطبراني ٦٧/١١، ٢٨٥ عن ابن عباس، من غير شك، وجُمع بين هذه الأقوال بأن من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً، وألغى الأيام الزائدة، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معاً، ومن شك تردد في ذلك، إذ القدوم في ربيع الأول بلا خلاف، والتحويل في نصف رجب من الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم ٢٢٦/٢ – ٢٢٧ بسند صحيح عن ابن عباس. وقال ابن حبان في صحيحه ٦١٨/٤: سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام بناء على أن القدوم في ثاني عشر ربيع الأول. أفاده الحافظ في الفتح ٩٦/١، ونقله السمهودي في الخلاصة ص ٢٧ – ٢٨ بنصه. وانظر وفاء الوفا ٨١/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولم يَهْتَم المسلمون بموضع هذا المحراب اهتمامهم بموضع المحراب الذي استقر عليه الأمر أخيراً، ولم يجعلوا له علامة تدل عليه، وأقصى ما يمكن أن نستدل به على موضعه ما رواه ابن زبالة عن أبي هريرة ﷺ قال: (**كانت قِبْلَة النبي ﷺ الشام، وكان مصلاَّه الذي يصلِّي فيه بالناس إلى الشام في مسجده؛ أن تضع موضع الأسطوان المخلَّق اليوم خلف ظهرك، ثم تمشي إلى الشام، حتى إذا كنت يمنى باب آل عثمان كانت قِبْلَته ذلك الموضع**) [(١)].

وعبَّر عنه المطري بقوله[(٢)]: «حتى إذا كنت محاذياً باب عثمان المعروف بباب جبريل عليه السلام والباب عن منكبك الأيمن وأنت في صحن المسجد كانت قِبْلَته ذلك الموضع». وهذا التحديد تقريبي كما هو واضح.

وقد جزم المطري[(٣)] أن المراد بالأسطوان المخلَّق في رواية أبي هريرة المتقدمة؛ هو أسطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها، واعتبر السمهودي قول ابن زبالة[(٤)]: «إن النبي ﷺ صلَّى إليها المكتوبة بضعة عشر يوماً بعد أن حُوِّلَت القِبْلَة، ثم تقدَّم إلى مصلاَّه الذي وجاه المحراب»؛ قرينة لما ذهب إليه المطري في تنزيل الوصف بالمخلَّقة في رواية أبي هريرة – المتقدمة – عليها، لكنه عاد فنقل عن العلماء ما يؤكِّد أن المراد بالأسطوان المخلَّق عند

(١) أخبار المدينة لابن زبالة ص ٨٦، وفاء الوفا ٨٥/٢.

(٢) التعريف بما أَنْسَت الهجرة ص ٣٠.

(٣) التعريف بما أَنْسَت الهجرة ص ٨٨.

(٤) أخبار المدينة ص ٨٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الإطلاق هو الذي بقرب المحراب الذي استقرَّ عليه النبي ﷺ أخيراً، وصار علماً على المصلَّى الشريف، أما أسطوانة السيدة عائشة فإنها وإن كان يطلق عليها اسم المخلَّقة؛ إلا أن ذلك ليس عند الإطلاق، وقال السمهودي[١]: «لم أر ما سبق عن المطري من وصف أسطوانة عائشة بالمخلَّقة لغيره، وتبعه عليه مَنْ بَعْدَه حتى صار هو المشهور، والظاهر أن المخَلَّقة حيث أُطلِقت فإنما يراد بها التي هي عَلَمٌ على المصلَّى الشريف، فقد قال مالك: «أحب مواضع التنفل في مسجد رسول الله ﷺ مصلاه؛ حيث العمود المخلق».

إلا أن كثيراً من الباحثين والمؤرخين[٢] حملوا الأسطوان المُخَلَّق في الرواية التي نقلها ابن زبالة عن أبي هريرة على أسطوانة السيدة عائشة؛ فجاء تحديدهم للمحراب الذي كان يصلِّي فيه النبي ﷺ إلى بيت المقدس مخالفاً لما ذهب إليه السمهودي، وسوف يتضح عند الحديث على الأسطوانات أن ما ذهب إليه السمهودي[٣] – رحمه الله– فيه نظر والله أعلم.

والمراد بباب عثمان هو باب جبريل كما أوضح ذلك المطري[٤]، وهو مواز لباب جبريل المعروف اليوم، فقد ذكر المراغي[٥] أنه نُقِل عند بناء الحائط الشرقي للمسجد النبوي قبالة الباب الأول ولم يتغير عن جهة

(١) الخلاصة ٣٥/٢ – ٣٦.

(٢) منهم المطري في التعريف ص ٨٨، والمراغي في تحقيق النصرة ٩١ – ٩٢.

(٣) وتبعه في ذلك البرزنجي في نزهة الناظرين ص ١٤٣، والشنقيطي في الدر الثمين ص ٢٢.

(٤) التعريف بما أنست الهجرة ص ١٠٤.

(٥) تحقيق النصرة ص ١١٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

موضعه، قال الذهبي[١]: «فلمَّا حُوِّلت القِبْلة بَقِي حائط القِبْلَة الأوّل مكان أهل الصُّفة».

وتحوَّل النبي ﷺ إلى الأسطوانة التي عرفت بأسطوانة عائشة رضي الله عنها فاتخذها مصلّى له بضعة عشر يوماً[٢]. **وهذا هو المحراب الثاني من محاريب النبي ﷺ.**

والصحيح من صلاته ﷺ عندها هو جَعْلُها أمامه سترة له، لا خلفه كما يفهم من كلام ابن النجار حيث قال: «وكان يجعلها خلف ظهره»[٣]، لأن المراد كما قال السمهودي: «إنه كان يستند إليها إذا جلس هناك، لا جَعْلُها كذلك في الصلاة إليها»[٤].

وهذا المحراب أيضاً لم يكن له بناء يخصُّه أو إشارة تدلّ عليه، سوى أسطوانة عائشة رضي الله عنها، وهذه الأسطوانة تقع الآن في وسط الروضة الشريفة، وهي الثالثة من المنبر، والثالثة من القبر الشريف، والثالثة من القِبْلَة، مكتوب عليها: «هذه أسطوانة السيدة عائشة».

وبعد أن صلَّى النبي ﷺ إلى أسطوانة عائشة رضي الله عنها بضعة عشر يوماً، **تقدَّم إلى مصلاَّه الأخير الذي استقرَّ عليه، والذي يقع بالقرب من**

---

(١) نقله عنه السمهودي في وفاء الوفا ٨٥/٢.

(٢) أخبار المدينة لابن زبالة ص ٨٦.

(٣) الدرة الثمينة ص ١٦٩.

(٤) الخلاصة ٦٠/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأسطوانة المعروفة بالمخلّقة، بينه وبين المنبر الشريف أربعة عشر ذراعاً وشبراً[١]، وبينه وبين جدار الحجرة الشريفة ثمانية وثلاثين ذراعاً[٢]، وبينه وبين جدار القِبْلَة ممر الشاة[٣]. وهذا هو المحراب الثالث من محاريب رسول الله ﷺ.

ولم يكن لهذا المحراب في عهد النبي ﷺ بناء يُميِّزه عن سائر أجزاء المسجد، وإنّما كان النبي ﷺ يداوم الوقوف في هذا المكان يؤمُّ المسلمين حتى وفاته، ويجعل جدار المسجد النبوي سترة له[٤].

واستمرَّ الأمر على ذلك مدّة حياته ﷺ وحياة أبي بكر الصديق ﷺ، وفي عهد الفاروق عمر ﷺ وُسِّع المسجد النَّبوي الشريف من الجهات الغربية والشمالية والجنوبية، فهُدِمَ جدار المسجد الجنوبي ووُسِّع إلى جهة القِبْلَة بزيادة حوالي عشرة أذرع أي بمقدار رواق واحد[٥].

---

(١) أخبار المدينة لابن زبالة ص ٨٣، وفاء الوفا ٢/٩٣.

(٢) وفاء الوفا ٢/٩٤.

(٣) وفاء الوفا ٢/٩٩.

(٤) اختلفوا في مقدار المسافة التي كانت بين مقامه ﷺ في الصلاة وبين الجدار، فقد روى البخاري في صحيحه١/١٨٨ عن سهل بن سعد قال: (**كان بين مصلَّى رسول الله ﷺ وبين الجدار ممرّ الشاة**). قال ابن بطال: «هذا أقلّ ما يكون بين المصلِّي وسترته»، وقيل: أقلُّ ذلك ثلاثة أذرع لحديث بلال في الصحيح: (**أن النَّبي ﷺ صلَّى في الكعبة وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع**)، وجمع الداوودي: بأن أقلّه ممر الشاة، وأكثره ثلاثة أذرع، وجمع بعضهم: بأن الأول في حال القيام والقعود، والثاني في حال الركوع والسجود، قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/٥٧٥. قال السمهودي: «ويلزمه التأخر عن موقفه الأول عندهما – كما قدمناه – وهو متعيّن؛ إذ لا يتأتى السجود في أقلّ من ثلاثة أذرع، ولهذا كان حريم المصلي الذي يكون بينه وبين سترته ثلاثة أذرع عندنا». وفاء الوفا ٢/١٠٠.

(٥) وفاء الوفا ٢/٢٣٩، وذهب مصطفى لمعي – وهو من المعاصرين – إلى أن الزيادة في جهة القبلة حوالي عشرة

=

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأصبح الإمام يصلي في الرواق الجديد، متقدماً على المحراب النبوي الشريف إلى الأمام جهة القِبْلَة، ولما وُسِّع المسجد في عهد ذي النورين عثمان ﷺ إلى جهة القِبْلَة أصبحت المسافة بين مقام الإمام بعد التوسعة وبين مقامه الشريف ثمانية عشر ذراعاً (تسعة أمتار تقريباً)[١].

وظلَّ المنبر النبوي الشريف طوال تلك المدة في مكانه لم يتغيَّر بإجماع المسلمين.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك وُسِّع المسجد النبوي الشريف من ثلاث جهات الشرقية والغربية والشمالية، وظلّ محراب عثمان ﷺ في الجهة الجنوبية في مكانه، إلا أنه ولأول مرّة كما يذكر المؤرخون[٢] أُحدِث في هذه التوسعة المحراب المجوّف، فقد جمع عمر بن عبد العزيز أعيان المدينة وقال لهم: «تعالوا احضروا بنيان قِبْلَتكم، لا تقولوا غيَّر عمر قِبْلَتنا، فجعل لا ينزع حجراً إلا وضع مكانه حجراً»[٣] إلى أن اكتمل البناء. ومنذ ذلك الحين أصبح المحراب علماً على المكان المجوف[٤] الذي يقف فيه الإمام للصلاة، حتى نسي المعنى الأول أو كاد[١].

=

أذرع (٤٨.٤م). المدينة المنورة تطورها العمراني ص ٦٢.

(١) المدينة المنورة تطورها العمراني ص ٦٥.

(٢) وفاء الوفا ٢/٢٧٧.

(٣) أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٢٠، وفاء الوفا ٢/٢٧١.

(٤) قام بعض المؤرخين بدراسة فكرة المحراب الذي أحدثه عمر بن عبد العزيز ﷺ في المسجد النبوي، وتبين له أن المحراب المجوَّف وُجد قبل المسيحية والإسلام، وأن أول محراب مجوّف في المسجد كان في عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد النبوي. انظر المدينة المنورة تطورها العمراني ص ٧٣ – ٧٥. وللسيوطي رسالة صغيرة

=

وقد ظنّ عدد من المؤرخين أن المحراب المجوَّف الذي أحدثه عمر بن عبد العزيز في هذه التوسعة إنما أحدثه في مقام رسول الله ﷺ، وقد ذكر ذلك كلٌّ من البرزنجي[٢] وإبراهيم باشا[٣] وأيوب باشا[٤] ومحمد إلياس[٥]، وغيرهم، والصحيح أن عمر بن عبد العزيز إنما أحدث المحراب المجوّف في مكان مصلّى عثمان ﷺ لا في مصلى النبي ﷺ، وما ذهب إليه أولئك عار عن الصِّحة لأمور:

الأول: أن كلّ من حدّد مكان مقام رسول الله ﷺ في مصلاه من العلماء إنما حدّده بحساب المسافة بينه وبين المنبر من جهة، وبينه وبين الحجرة الشريفة من جهة أخرى، وبعلامة الأسطوانة المخلّقة والصندوق[٦] حيناً، وبرمانة المنبر النبوي الشريف والمحراب العثماني حيناً آخر.

=

بعنوان:"إعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب" بيَّن فيها أن المحراب من سنن النصارى، وأن النبي ﷺ نهى عنها. لكن أقول: إجماع الأمة عليها من زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وإلى يومنا هذا كاف في إثبات جوازها والله أعلم.

(١) ومن هنا أصبح المؤرخون يطلقون على محراب رسول الله ﷺ الأول مقاماً أو مصلى كما سيظهر في عباراتهم من خلال البحث.

(٢) نزهة الناظرين ص ٥١

(٣) إلا أنه شكَّك في إحداث المحراب المجوّف في عهد الوليد بن عبد الملك. مرآة الحرمين الشريفين ص ٤٦٨.

(٤) موسوعة مرآة الحرمين ١٩٩/٣.

(٥) تاريخ المسجد النبوي ص ١٠٤.

(٦) المراد بالصندوق: هو الصندوق الخشبي الذي وضع فيه الحجاج بن يوسف الثقفي أحد المصاحف وأرسله إلى المدينة، فوضع أمام المصلى النبوي الشريف. انظر أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٢٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال ابن زبالة[١]: «إن ذرع ما بين المنبر ومقام النبي ﷺ الذي كان يصلِّي فيه حتى توفي ﷺ أربعة عشر ذراعاً وشبراً».

وقال أيضاً[٢]: «إذا عدلت عنها – الأسطوانة التي بجانبها الصندوق – قليلاً وجعلت الجزعة التي في المقام[٣] بين عينيك والرمانة التي في المنبر إلى شحمة أذنك قمت في مقام رسول الله ﷺ».

وقال أيضاً[٤]: «إن ذرع ما بين مصلَّى النبي ﷺ من مسجده الأول وبين أسطوانة التوبة سبع عشرة ذراعاً».

فلو كان المحراب الذي أنشأه عمر بن عبد العزيز في المكان الذي كان النبي ﷺ يؤم المسلمين فيه لما احتاج الأمر أن يحددوا مكانه بهذه الطريقة، أو لأشاروا إلى وجود هذا المحراب على أقل تقدير.

الثاني: أن الإمام الغزالي وغيره من العلماء لما حقَّقوا مكان مقام النبي ﷺ قالوا: «ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق، وتكون الدائرة[٥] التي في قِبْلة المسجد بين عينيه، فذلك موقف رسول الله ﷺ قبل أن يُغيَّر المسجد»[٦].

---

(١) أخبار المدينة ص ٨٤.

(٢) أخبار المدينة ٨٣، وفاء الوفا ٩١/٢.

(٣) يقصد في مقام الإمام في المحراب العثماني الذي وضع أمام مقام النبي ﷺ بدقة.

(٤) أخبار المدينة ص ٨٤، وفاء الوفا ٩٣/٢.

(٥) هذه الدائرة عبّر عنها ابن زبالة بالجزعة.

(٦) إحياء علوم الدين ٢٥٩/١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال السمهودي: أما الجزعة فذكر المطري أنها كانت في المحراب القِبْلي المقابل للمصلَّى الشريف، وأنها أزيلت منه سنة ٧٠١هـ[١].

والسؤال هنا: كيف يكون لمقام النبي ﷺ محراب مبني ثم يجتهدون في تحديده؟ وكيف يكون مبنياً والواقف فيه ينبغي أن يكون في مقابل الجزعة التي في قِبْلَة المحراب العثماني ينظر إليها حتى يكون وقوفه صحيحاً في المحراب النبوي؟ ومن هنا قال المطري[٢]: وما حققه الغزالي عند ذكر المصلَّى الشريف إنما كان قبل حريق المسجد، وقبل أن يجعل هذا اللوح القائم في قِبْلَة مصلَّى النبي ﷺ.

قال السمهودي[٣] معلقاً على قول المطري: أي فإنه صار يحجب عن مشاهدة ما في المحراب القِبْلي.

قال[٤]: وإنما جُعِل بعد حريق المسجد.

وبهذا وغيره أؤكِّد أن المحراب المجوّف الذي بناه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في عمارة الوليد؛ إنما بناه في المقام الذي كان الإمام يقف فيه في ذلك الوقت، والذي هو مقام ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأما مقام النبي ﷺ فظلّ على حاله إلى عهد ابن النجار، فقد ذكر أنه غيِّرت هيئته بجعل

(١) وفاء الوفا ٢/٩١، ٩٢.

(٢) التعريف ص ٩٤.

(٣) وفاء الوفا ٢/٩٢.

(٤) التعريف ص ٩٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المصلَّى شبه حفير أو حوض صغير منخفض عن موقف المأمومين نحو ذراع بسبب ترخيمه وتكاثر الرَّمل المفروش به الروضة[١].

فكأنهم لما فرشوا الروضة بالرِّمال أرادوا أن يحافظوا على المستوى الذي كان عليه المصلَّى في عهد رسول الله ﷺ، فرخموه فظلّ مكانه أخفض من بقية الروضة، ويرجح السمهودي أن حدوث انخفاض المصلَّى الشريف بما حوله تجدَّد بعد الحريق الأول[٢]، وهذا ما يفهم من كلام ابن النجار كما تقدَّم[٣].

واستمرّت هذه الحفرة أو الحوض التي هي علامة على محراب رسول الله ﷺ إلى زمن السمهودي رحمه الله، إلا أن نسبة انخفاضها عما حولها من الروضة ازدادت فقد قال السمهودي: «وهو الآن شبه حوض مربَّع ينزل إليه بدرجة، طوله ذراعان ونصف وثمن، وعرضه ذراعان ونصف ونصف ثمن، لكن زادوا في طوله في العمارة الحادثة بعد الحريق أرجح من نصف ثمن ذراع ونحوه في العرض[٤].

---

(١) نقله عن ابن النجار الفيروزابادي في المغانم المطابة في معالم طابة ٢/٤٩٦، والسمهودي في وفاء الوفا ٢/٩٤.

(٢) وفاء الوفا ٢/٩٦.

(٣) وبهذا يعلم أن ما قاله الشهري من أنهم كانوا يكتفون للدلالة على موضع المصلَّى الشريف بالمحافظة على المستوى الذي كان عليه المصلَّى في عهد رسول الله ﷺ حتى تشكّل من ذلك شبه حوض مربَّع مرخَّم... غير دقيق والله أعلم. انظر: عمارة المسجد النبوي للشهري ص ٢٢٧.

(٤) وفاء الوفا ٢/٩٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن خلال الذرع الذي ذكره ابن زبالة لتحديد محراب النبي ﷺ فيما بينه وبين المنبر، أو بينه وبين أسطوانة السيدة عائشة، أو بينه وبين أسطوانة التوبة كما تقدَّم ذكره؛ تبيَّن للسمهودي أن المحافظ عليه في حدّ المصلَّى الشريف هو طرف الحفرة الغربي، فقد قام بذرع ما بين المنبر والحفرة، وما بين الحجرة والحفرة فتبيّن له أن الموافق لما ذكره ابن زبالة وغيره في مكان المصلَّى الشريف هو الطرف الغربي لهذه الحفرة [1].

(١) وفاء الوفا ٢/٩٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد اتضح للعلامة السمهودي أن الحفرة أو الحوض الذي في مكان مصلَّى النبي ﷺ بالمسلمين مرتفع عن موقف النبي ﷺ في زمنه بسبب علو الأرض، إلا أن ذلك كان قريباً في زمن إنشائه، والله أعلم[١].

وكان العلماء يتحرجون من إمامة المسلمين في هذا المكان – كما قال البدر ابن فرحون[٢] – للكراهة التي نص الفقهاء عليها بسبب عدم تساوي الموقف بين الإمام والمأمومين.

قال ابن فرحون: «... وهو ﷺ لم يكن موقفه من المأموم أخفض ولا أعلى، بل كان هو وأصحابه في الموقف سواء، فمن خالف سنته بالهوى فقد غوى»[٣].

وبعد الحريق الأول الذي شب بالمسجد النبوي في رمضان من عام ٦٥٤هـ اعتنى الظاهر بيبرس بالمسجد النبوي اعتناءاً كبيراً، واهتمّ بشكل خاص بمصلّى النبي ﷺ فعمل له محراباً خشبياً وصفه السمهودي فقال[٤]: «وكان في قِبْلَة المصلَّى الشريف صندوق خشب بديع الصنعة، يعلوه محراب قد أنتج الصّناع فيه نتائج مبدعة من صنعة النجارة، والمحراب المذكور شبه باب مقنطر لموضع لطيف على ظهر

(١) وفاء الوفا ٩٦/٢.وقد كتب السمهودي في ذلك كتاباً سمَّاه: «كشف الجلباب والحجاب عن القدوة في الشباك والرحاب». لم أقف عليه.

(٢) نصيحة المشاور ص ٢٨.

(٣) نصيحة المشاور ص ٢٩، ونقله عنه السمهودي في وفاء الوفا ٩٥/٢ باختصار.

(٤) وفاء الوفا ٩٦/٢ – ٩٧. وانظر: المغانم الطابة ٤٧٦/٢ – ٤٧٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الصندوق المذكور، مكتوب في داخله أمام مستقبله بعد البسملة آية الكرسي، وعلى ظاهر الباب المقنطر بعد البسملة ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾(البقرة: ١٤٤).

ويبدو أن هذا المحراب هو الذي أشار إليه المطري باللوح المتقدِّم ذكره، وقد احترق هذا المحراب الخشبي في الحريق الثاني الذي شبَّ في المسجد النبوي عام ٨٨٦ هـ في عهد السلطان المملوكي قايتباي.

ولما شرعوا في تجديد عمارة المسجد النبوي سنة ٨٨٨هـ؛ "اقتضى رأي متولي العمارة أن يخفض أرض المسجد حتى تكون مساوية للمصلى الشريف، فقطع من الأرض نحو ذراع، فكانوا يجدون طبقة من التراب وتليها طبقة من الرمل، حتى وصلوا إلى الأرض المساوية للمصلى الشريف، وحصل بذلك إزالة هذه البدعة ولله الحمد والمنة" [(١)].

وبنوا مكان المحراب الذي احترق محراباً مرخَّماً بالرخام الملون ترخيماً بديعاً، فيه صبغ من ذهب وغيره، وهو أبهى منظراً من الأول.

---

(١) وفاء الوفا ٩٦/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال السمهودي[1]: «وجعلوا أرض المحراب المذكور مرتفعة قليلاً على المصلَّى الشريف، لأنه إنما جعل في محل الصندوق الذي كان أمام المصلَّى، فليتنبّه لذلك والله أعلم».

وكُتِب تاريخ العمارة في لوح رخامي بظهر المحراب النبوي، منقوش فيه بخط بارز في خمسة أسطر ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد

أمر بعمارة هذا المحراب النبوي الشريف العبد الفقير المعترف

بالتقصير مولانا السلطان الملك الأشرف

---

(١) وفاء الوفا ٢/٩٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه بتاريخ

شهر ذي الحجة الحرام سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية[1].

وكتب على مفتاح عقد المحراب: **هذا محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

وكتبت آيات قرآنية حول عقد المحراب: بسملة، ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾. صدق الله. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾. اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وكتبت آيات قرآنية في وسط المحراب تحت رجل العقد:

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: ١١٢).

وكتب نص على الكتف اليمين للمحراب أسفل رجل العقد: **هذا مصلى رسول الله ﷺ.**

ونص على الكتف الشمالي للمحراب أسفل رجل العقد: **قال النبي عليه السلام: (الصلاة عماد الدين)**[2].

---

(١) عمارة المسجد النبوي للشهري ص ٣٤٢ – ٣٤٣، المدينة المنورة تطورها العمراني ص١٢٠.

(٢) المدينة المنورة تطورها العمراني ص ١١٩ – ١٢٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولا يزال هذا المحراب قائماً حتى اليوم، وقد جرت عليه خلال العصور المتلاحقة إصلاحات كثيرة، ففي عهد السلطان عبد المجيد ١٢٦٦هـ جُدِّدت فيه أعمال الزخرفة والتذهيب، وتوج أعلاه بمخروطين من الخشب، ووضع على جانبيه سلالم برونزية لإيقاد الشمع الكبير[١]، وفي عام ١٣٣٦هـ جُدِّد المحراب النبوي على يد فخري باشا محافظ المدينة المنورة[٢]،

(١) نزهة الناظرين ص ١٣١، المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني للشهري ص ١٣١.

(٢) المدينة المنورة تطورها العمراني ص ٩٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي عام ١٣٩٢هـ قامت الحكومة السعودية بترميمه وتزيينه، وفي عام ١٤٠٤هـ جرت فيه إصلاحات كبيرة من أهمها:

تدعيمه من الداخل بشبكة من الخرسانة المسلّحة، وتجليده من الخارج بالرخام وفقاً للرسومات القديمة وبدون أي تغيير فيها، واستبدل العمودان بواجهة المحراب بعمودين من الرخام الاينوكس الباكستاني، وجُدِّدت اللوحة الموجودة خلف المحراب النبوي مع إضافة تاريخ التجديد[1].

مكان وقوف رسول الله ﷺ في المحراب

اهتم الدارسون في تاريخ وعمارة المسجد النبوي قديماً وحديثاً بتحديد مكان وقوف رسول الله ﷺ في موقع المحراب النبوي، وتحرى بعضهم مكان سجوده وموضع أقدامه الشريفة، وقال السمهودي في الخلاصة: «فمن تحرّى في القيام محاذاة هذا المحراب كان المصلَّى الشريف عن يمينه، فينبغي تحرّي طرف الحوض المذكور الذي يلي المنبر» ا.هـ[2].

(١) تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص ١٠٥.

(٢) الخلاصة ٣٩/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد فهم كثير من الباحثين والمؤرخين من عبارة السمهودي هذه أنه ينبغي عند تحرِّي الوقوف في مكان مصلَّى الرسول ﷺ أن تخرج عن محيط المحراب بالكلية وتقف على اليمين عند العبارة التي كتب عليها: «هذا مصلَّى رسول الله ﷺ».

قال: البرزنجي في نزهة الناظرين[1]:"فليتحر الواقف الطرف الغربي من ذلك المحل المجوّف بحيث يصير التجويف عن يساره، فذلك هو محل موقفه الشريف ﷺ".

وقال: محمد إلياس عبد الغني في تاريخ المسجد النبوي[2]:"فمن تحرى في القيام محاذاة هذا المحراب كان المصلى الشريف عن يمينه، فينبغي تحري الطرف الغربي من ذلك المحل المجوّف بحيث يصير التجويف عن يساره، فذلك هو محل موقفه ﷺ للصلاة".

وبما أن المكان الذي فهم هؤلاء أنه مكان وقوف النبي ﷺ قد بني عليه طرف المحراب الأيمن فلا يتأتى أن يقف المصلي في المكان نفسه الذي كان يقف فيه النبي ﷺ ؛ قالوا: إن المصلي في محراب النبي ﷺ اليوم يضع جبهته مكان قدمي النبي ﷺ.

---

(١) نزهة الناظرين: ص ١٤٠.

(٢) تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص ١٠٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال محمد إلياس[١]: وبسبب وضع المحراب صار الذي يسجد في ذلك الموضع يكون وضع جبهته في محل قدميه ﷺ في الصلاة.

بيد أننا إذا ما تأملنا جيداً كلام السمهودي، لتبيّن لنا أنه –رحمه الله– لم يرد ما فهمه هؤلاء، وليس في كلامه ما يؤيد العبارة التي أضافوها في كتبهم وهي قولهم:"بحيث يصير التجويف عن يساره".

كيف يعقل أن يحافظ المسلمون على مكان مصلى النبي ﷺ قروناً طويلة ثم يتبين لأحدهم أنه ليس هو المكان المراد؟ أم كيف يعقل أن يضعوا أمامه محراباً للدلالة عليه ثم يتبيّن أنه وضع في غير مكانه؟ هل كان يتولى عمارة وتجديد المسجد من هب ودب؟ ألم يكن هناك علماء يُرْجَع إليهم عند بناء هذه الأماكن الهامة؟ ألم يكن السمهودي نفسه موجوداً عند بناء هذا المحراب؟ ألم يحك ابن النجار الإجماع على أن المصلى الشريف لم يغير بتقديم ولا تأخير؟ ونقله عنه الفيروزابادي في المغانم[٢] ووافقه عليه السمهودي نفسه؟[٣] كيف تجمع الأمة على أمر ثم نخالف الإجماع لفهم فهمناه من عبارة أحد العلماء لا ندري أمصيبون نحن في هذا الفهم أم لا؟

---

(١) تاريخ المسجد النبوي لمحمد إلياس ص ١٠٤.

(٢) المغانم الطابة ٤٩٦/٢.

(٣) وفاء الوفا ٩٤/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كل هذه التساؤلات وغيرها ترشد إلى أن المراد بكلام السمهودي غير ما فهمه هؤلاء من كون المحراب في مكان ومصلى النبي ﷺ في مكان آخر. ومما يدل على خطأ هذا الفهم أن الواقف في المكان الذي زعم هؤلاء أنه مكان مصلى النبي ﷺ يكون واقفاً في موازاة الأسطوانة المخلقة، ومن المعلوم أن هذه الأسطوانة كانت على يمين الواقف في المحراب النبوي لا في موازاته كما حقق ذلك السمهودي نفسه[1]، وكما سيأتي عند الحديث على الأسطوانات.

وكيف يكون ما ادعاه هؤلاء صحيحاً والسمهودي نفسه يقول في الخلاصة[2]: "صلى إليها – أي إلى أسطوانة السيدة عائشة – النبي ﷺ المكتوبة بعد تحويل القبلة بضع عشر يوماً ثم تقدّم إلى مصلاه الذي وجاه المحراب في الصف الأول".

كل ما أراد السمهودي أن ينبه عليه هو أن الحوض الذي كان دلالة على مصلى النبي ﷺ ـ والذي تقدم الحديث عنه ـ قد زادوا بعد الحريق الأول في طوله نصف ثمن ذراع، أي ما يعادل ٦سم تقريباً، وفي عرضه كذلك[3]، ثم إن السمهودي أعاد قياس المسافة التي حددها العلماء بين المحراب النبوي وبين أسطوانة التوبة فتبين له أن الزيادة التي أحدثت في

(١) وفاء الوفا ٢/٩١

(٢) ٢/٥٩.

(٣) وفاء الوفا ٢/٩٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عرض الحوض إنما أحدثت في الجهة الشرقية منه، وأن الجهة الغربية قد حوفظ على مكانها بدقة، فأحب السمهودي أن ينبه المصلي إذا أراد الوقوف في المكان الذي كان يقف فيه النبي ﷺ بدقة أن يأخذ جهة اليمين قليلاً، وعبارته:"فعلمنا بذلك أن المصلى الشريف في جانب الحفرة الغربي، وأن ما يلي المشرق منها ليس منه" اهـ[1]، ثم لما بنوا المحراب الموجود الآن أمامه بنوه على كامل عرض الحوض، أي أن يقف على يمين المحراب لكن داخل الحوض وليس خارجه، وبهذا ظهر خطأ ما فهمه بعضهم من كلام السمهودي، كما ظهر خطأ ما بنوه على ذلك الفهم من أن الذي يسجد في ذلك المكان إنما يضع جبهته في مكان قدم النبي ﷺ[2].

الأسطوانات

الأسطوانات أو الأساطين: جمع أسطوانة بالتأنيث، ويقال: أسطوان بالتذكير، ويراد بها: السارية أو العمود التي يرتكز عليها السقف، إلا أن الغالب على الأسطوانة أن تكون بناء، وعلى العمود أن يكون من حجر[3]. وتسمى اللائطة للزوقها في الأرض،

(١) وفاء الوفا ٩٣/٢.

(٢) ومن هنا ندرك أن ما ذكره البرزنجي -رحمه الله- ص٥٢ من أسباب لعدم جعل تجويف المحراب في محل مصلاه ﷺ بعيد والله أعلم.
وفاء الوفا ٩٣/٢.

(٣) الصحاح للجوهري مادة (سرى)، لسان العرب مادة (سطن) ومادة (عمد)، تاج العروس مادة (عمد).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومنه حديث معاوية بن قرة: «ما يسرني أني طلبت المال خلف هذه اللائطة وأن لي الدنيا»[١].

وقد كان في المسجد في زمن النبي ﷺ لجهة القِبْلة ٢٧ أسطوانة، كلها من جذوع النخل، وبقيت على ذلك إلى توسعة عثمان بن عفان ﷺ حيث أبدلها بالحجارة المنقوشة. فقد روى البخاري عن نافع أن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ (**مَبْنِيًّا بِاللَّبِنِ وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ وَعُمُدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ وَبَنَاهُ عَلَى بُنْيَانِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّبِنِ وَالْجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمُدَهُ خَشَبًا ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ وَالْقَصَّةِ وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ**)[٢].

وقد حافظت أسطوانات المسجد النبوي على أماكنها خلال توسعات المسجد المتلاحقة منذ عهد النبي ﷺ وحتى عصرنا الحاضر، حيث تحرى ذلك كل من زاد أو جدد في المسجد النبوي الشريف، وخاصة الأسطوانات المشهورة الواقعة في الروضة الشريفة، والتي ارتبط اسمها بمآثر مدونة في كتب الحديث والتاريخ. ومن أشهر هذه الأسطوانات:

---

(١) ذكره في النهاية في غريب الحديث ٢٨٦/٤، ولسان العرب مادة (ليط). ولم أقف عليه.

(٢) صحيح البخاري ١٧١/١، رقم: ٤٣٥، باب بنيان المسجد.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١ـ الأسطوانة المخلقة

تقع هذه الأسطوانة [١] في قبلة المحراب النبوي، ملاصقة لتجويف المحراب من الجهة اليمنى.

ويذكر السمهودي أن موقعها الأصلي على يمين المحراب النبوي الشريف، في موضع كرسي الشمعة الذي عن يمين الإمام الواقف في المصلى الشريف[٢]، وأنها قدمت في إحدى عمارات المسجد النبوي عن موضعها إلى جهة القبلة مقدار ذراعين، لكنه لم يُبيِّن متى حدث ذلك.

وينقل عن ابن النجار أن هذه الأسطوانة أقيمت في مكان الجذع الذي حَنَّ إلى النبي ﷺ. ولكنه لم يذكر متى أقيمت.

والذي يظهر لنا – والعلم عند الله – أن هذه الأسطوانة لم تكن موجودة في العهد النبوي الشريف، لا عند البناء الأول للمسجد حين كانت القبلة إلى بيت المقدس، ولا عند تحويل القبلة، ولا حتى عند توسعة النبي ﷺ للمسجد في السنة السابعة للهجرة؛ لأن موضعها كان آنذاك جدار المسجد الجنوبي كما يظهر من الشكل (١) ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يوسع المسجد من جهة القبلة، وليس من طرق البناء لا في ذلك العهد ولا في

(١) بتشديد اللام وفتحها، أي: الملطخة بالخلوق وهو الطيب.

(٢) ولا عبرة بالروايات التي تشير إلى أنها كانت على يسار المحراب، لأنها شاذة أو مؤولة كما ذكر السمهودي في الخلاصة ٤٩/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العهود اللاحقة ـ فيما أعتقد ـ أن تقام أسطوانة أو عمود في الجدار؛ إذ لا فائدة منه.

وربما يفترض بعضهم أنها أقيمت للدلالة على مكان الجذع الذي حنَّ إلى النبي ﷺ كما ذكر ابن النجار.

أقول: لم أقف على دليل واحد يؤيد ما ذكره ابن النجار، لا في الأخبار الصحيحة ولا حتى في أقوال العلماء قبله، ومثل هذا الأمر لو حدث أعني: لو قام الصحابة ببناء أسطوانة مكان الجذع الذي حنَّ إلى النبي ﷺ للدلالة عليه؛ لاشتهرت بين المختصين في هذا الجانب على أقل تقدير، أو لسميت هذه الأسطوانة بـ «أسطوانة الجذع»، أو عرفت بأنها عَلَمٌ عليه. ومن هنا فإن المطري لم يرتض كون هذه الأسطوانة أقيمت في مكان الجذع، وقال[1]: "والأسطوانة التي قبلي الكرسي متقدمة عن موضع الجذع، فلا يعتمد على قول من جعلها في موضع الجذع".

يشير بهذا إلى ما نقله ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد في تحديد مكان الجذع:"أن الأسطوان الملطخ بالخلوق ثلثاها أو نحو ذلك محرابها موضع الجذع الذي كان النبي ﷺ يخطب إليه".

---

(١) التعريف بما أنست الهجرة ص ٩٣ – ٩٤. قلت: وكذا قال المراغي في تحقيق النصرة ص ٩٧، وانظر الخلاصة ٤٨/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذا ما يفسر لنا سر إهمال معظم المؤرخين – قبل السمهودي– لذكرها ضمن الأساطين المشهورة في الروضة[١].

والظاهر أن هذه الأسطوانة بنيت مع توسعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ للمسجد حين هدم جدار المسجد الجنوبي الأول وقدمه بمقدار خمسة أمتار، وبنى رواقاً واحداً، فكانت هذه الأسطوانة ضمن أعمدة الرواق الذي زاده الفاروق، وهي في صف بقية أسطوانات الرواق كما يظهر في الشكل (١).

وبناء على ما تقدم فإن ما ذكره الإمام السمهودي من كونها قدمت عن موقعها بمقدار ذراعين؛ لم أقف له على مستند، ولعله اجتهاد منه للتوفيق بين ما ذكره ابن النجار من كونها أقيمت مقام الجذع وبين رد المطري لذلك. وهذا التوفيق لا داعي له ما دام أننا لا نملك نصوصاً صريحة بأن هذه الأسطوانة أقيمت مقام الجذع، وفي المكان نفسه الذي كان فيه.

ولما كانت أقرب الأسطوانات إلى المصلى الشريف؛ جعلت علماً عليه، ولما كان المصحف الذي أرسله الحجاج بن يوسف قد وضع بالقرب منها سميت أسطوانة المصحف[٢]. كما قال الإمام مالك[٣]:"أرسل الحجاج بن يوسف إلى

---

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر الدرة الثمينة لابن النجار ص ١٤٤ فما بعدها، التعريف بما أنست الهجرة ص ٩١ -٩٢، تحقيق النصرة ص ٩١. المغانم المطابة ٤٠٠/١ فما بعدها.

(٢) إتحاف الزائر ص١٣٠

(٣) الدرة الثمينة لابن النجار ص٣٢٩

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

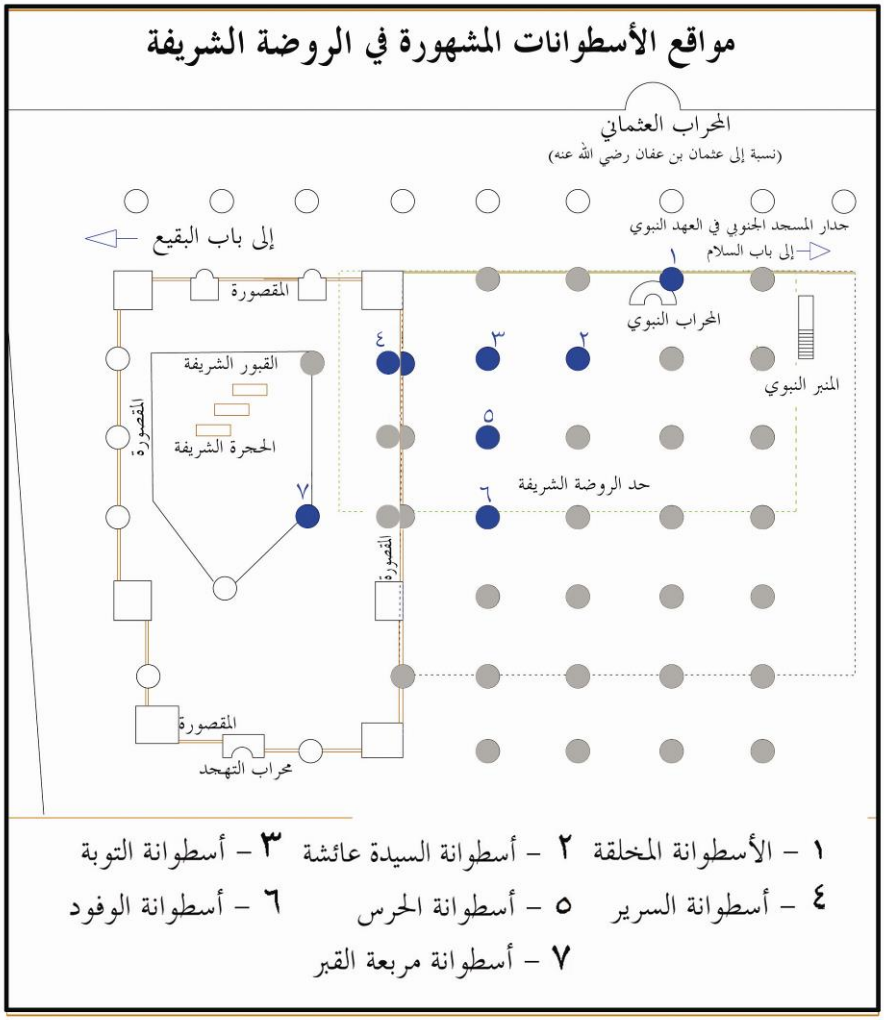

الشكل رقم (١)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير وكان في صندوق عن يمين الأسطوانة التي عملت علماً لمقام النبي ﷺ".

وتعرف هذه الأسطوانة اليوم بالمخلقة؛ لأنها كانت تلطخ بالخلوق، وهو الطيب. وقد كتب عليها في أعلاها "هذه أسطوانة المخلقة"، وهذا الوصف لا يقتصر عليها وحدها بل على أسطوانة السيدة عائشة (المهاجرين) وأسطوانة التوبة[١].

ولم نقف على نص صريح يذكر بداية تخليقها، بل لم نقف على من وصفها بالمخلقة غير السمهودي ومن نقل عنه ممن جاء بعده، وكل الآثار التي وقفنا عليها في تخليق المسجد النبوي الشريف، أو جزء منه، في العهد النبوي والراشدي والأموي لم تشر إلى هذه الأسطوانة بما يخصها من تخليق أو عدمه، بل نقل ابن زبالة عن ابن عجلان: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله على المدينة أن لا يخلق إلا القبلة، وأن يغسل الأساطين.

وأقدم النصوص التي وقفنا عليها، فيما يخص تخليق هذه الأسطوانة ما نقله ابن زبالة في الخبر السابق: أن الخيزران أم موسى[٢] قدمت المدينة سنة ١٧٠هـ فأمرت بالمسجد فخلق، وولي ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها، فقام إليها إبراهيم بن الفضل بن عبيد الله، مولى هشام بن إسماعيل، فقال: هل لكم أن تسبقوا من بعدكم وأن تفعلوا ما لم يفعل من كان

(١) تحقيق النصرة للمراغي ص٩٣.

(٢) أم موسى الهادي وهارون الرشيد.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قبلكم؟ قالت مؤنسة: وما ذاك؟ قال: تخلقون القبر كله، ففعلوا؛ وإنما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل،[١] وأشار عليهم فزادوا في خلوق أسطوان التوبة والأسطوان التي هي عند مصلى النبي ﷺ، فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما، وزادوا في الخلوق في أعلاهما[٢].

وهذا النص رغم استدلال السمهودي به على تخليق هذه الأسطوانة؛ إلا أنه يحتمل أن يكون المراد بها أسطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها إذ هي أيضاً واقعة عند المصلى الشريف الأول كما تقدم في المحاريب. وقد ترجم لها ابن عساكر في إتحاف الزائر[٣]:"**الأسطوان التي كان رسول الله ﷺ يصلي إليها**"، وهي معروفة بالمخلقة أيضاً، ولعل شهرتها بالمخلقة أوسع من هذه، خاصة قبل عهد السمهودي، وقد اقتصر المطري[٤] في وصف المخلقة عليها ولم يتطرق لغيرها، فقال: "ذكر الأسطوانات المشهورة في الروضة الشريفة: منها: الأسطوانة المخلقة، وهي التي صلى إليها رسول الله ﷺ المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعة عشر يوماً ثم تقدم إلى مصلاه". وكذا فعل المراغي (ت ٨١٦ هـ) في تحقيق النصرة[٥] فقال: "الرابع: نذكر الأساطين بالروضة الشريفة والجذع

(١) لعل المراد بتخليق القبر هو تخليق الجدار المقام على القبور الشريفة، إذ تخليق القبر الشريف نفسه فيه بعد لوجود جدار الحائز المخمس الذي بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله. والله أعلم

(٢) وفاء الوفا ٨٨/٢، ٣٥٠، ٤٤٩.

(٣) ص ١٢٦.

(٤) التعريف ص٩١.

(٥) ص ٩١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمنبر: فمنها: الأسطوانة المخلقة وهي التي صلى إليها رسول الله ﷺ المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعة عشر يوماً ثم تقدم إلى مصلاه اليوم".

وقال الفيروزابادي في المغانم[(١)]: قلت: وهذه الأسطوانة تسمى أسطوانة عائشة رضي الله عنها....، وهي المعروفة بالأسطوانة المخلقة...".[(٢)].

فضل الأسطوانة المخلقة

يتضح لنا مما رجحناه من كون هذه الأسطوانة لم تكن موجودة في عهد النبي ﷺ؛ أنه لا يوجد أثر في فضل هذه الأسطوانة بخصوصها، بل من حيث العموم، فقد روى البخاري[(٣)] عن أنس بن مالك ﷺ قال: «لقد رأيت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب».

قال ابن النجار: "فعلى هذا جميع سواري مسجد النبي ﷺ يستحب الصلاة عندها؛ لأنها لا تخلو من أن كبار الصحابة صلوا إليها".

وليس المراد بقول ابن النجار: "مسجد النبي ﷺ" المسجد الذي بني في عهد النبي ﷺ؛ بل ينطبق الوصف على ما زاده الخلفاء الراشدون فيه لتوافر الصحابة في عهدهم رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) المغانم المطابة ١/٤٠٠.

(٢) وكلام ابن عساكر غير واضح، فقد أورد حديث سلمة بن الأكوع تحت أسطوانة المصحف، إلا أنه لم يحدِّد مكانها على عادته في تحديد أماكن الأسطوانات الأخرى التي ذكرها قبل ذلك، وعند حديثه عن موضع الجذع قال: «وكان الجذع في موضع الأسطوانة المخلقة التي عن يمين موقف النبي ﷺ للصلاة عند الصندوق»إتحاف الزائر ص ١١٥ وص ١٣٠.

(٣) صحيح البخاري ١/١٨٩، رقم ٤٨١، باب الصلاة إلى الأسطوانة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلا أن العلماء قد اختلفوا في المراد من أسطوانة المصحف الواردة في حديث يزيد بن أبي عبيد الذي رواه البخاري في صحيحه[١] قال: (**كنت آتي سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم! أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها**).

فذهب البيهقي في سننه، والفيروزابادي في المغانم، والعباسي في عمدة الأخبار إلى أن المراد بها أسطوانة التوبة، وهذا ظاهر من إيراد البيهقي لحديث سلمة تحت باب سماه: باب في أسطوانة التوبة[٢]. ومن إيراد الفيروزابادي والعباسي له أيضاً في سياق الحديث عن أسطوانة التوبة كذلك[٣].

وذهب ابن حجر والعيني إلى أن المراد بها أسطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها، قال في الفتح[٤]: "هذا دال على أنه كان للمصحف موضع خاص به، ووقع عند مسلم بلفظ: "يصلي وراء الصندوق"[٥] وكأنه كان للمصحف صندوق يوضع فيه، والأسطوانة المذكورة حقق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة في الروضة المكرمة، وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين، قال: وروي عن عائشة أنها كانت تقول: لو عرفها الناس

---

(١) صحيح البخاري ١٨٩/١، رقم: ٤٨٠، باب الصلاة إلى الأسطوانة، ورواه مسلم في صحيحه ٣٦٤/١، رقم: ٥٠٩، باب دنو المصلّي من السترة.

(٢) سنن البيهقي، جماع أبواب الهدي، باب في أسطوانة التوبة ٢٤٧/٥.

(٣) المغانم المطابة ٤٠١/١، عمدة الأخبار ص ٩٨ – ٩٩.

(٤) ٥٧٧/١.

(٥) لم أقف عليه في صحيح مسلم ولا في غيره من كتب السنة المشهورة، ولعل هذا اللفظ ورد في نسخة من نسخ صحيح مسلم التي وقف عليها الحافظ ابن حجر، وقد رواه بهذا اللفظ ابن بطة في الإبانة الكبرى.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لاضطربوا عليها بالسهام، وإنها أسرتها إلى ابن الزبير فكان يكثر الصلاة عندها. ثم وجدت ذلك في تاريخ المدينة لابن النجار، وزاد: "إن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها"، وذكره قبله محمد بن الحسن في أخبار المدينة". انتهى كلام الحافظ.

واستظهر ابن رجب أن الأسطوانة التي كان يتحرى سلمة بن الأكوع الصلاة إليها هي من أسطوانات الروضة فقال[1]: «وهذه الأسطوانة الظاهر أنها من أسطوان المسجد القديم الَّذِي يسمى الروضة، وفي الروضة أسطوانتان، كل منهما يقال: إن النبي ﷺ كان يصلي إليها: الأسطوانة المخلقة، وتعرف بأسطوانة المهاجرين؛ لأن أكابرهم كانوا يجلسون إليها ويصلون عندها، وتسمى: أسطوان عائشة... وأسطوانة التوبة، وهي التي ربط فيها أبو لبابة نفسه حتى تاب الله عليه».

وقد تعقب السمهودي ما ذهب إليه العيني وابن حجر فقال: وقد توهم جماعة أن المراد من كلام ابن القاسم[2]، وما نقل عن مالك؛[3] الأسطوانة المعروفة اليوم بالمخلقة، وهي التي بأوسط الروضة، وهو مردود؛ لأن الأسطوانة المذكورة ليست علماً على مصلَّى الرسول عليه السلام اتفاقاً،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب

(٢) يشير بهذا إلى ما نقله عن ابن القاسم قال: "أحب مواضع الصلاة في مسجده ﷺ في النفل العمود المخلق، وفي الفرض في الصف الأول". وفاء الوفا ٨٧/٢.

(٣) يشير بهذا إلى ما رواه ابن وهب عن الإمام مالك أنه سئل عن مسجد رسول الله ﷺ، وقيل له:"أي المواضع أحب إليك فيه؟ قال: أما النافلة فموضع مصلاه، وأما المكتوبة فأول الصفوف". المرجع السابق.

ومنشأ الوهم ظنهم اختصاصها بوصف المخلّقة»[1]، قال: "وممن اعتقد ذلك الحافظ ابن حجر". ثم ساق كلام الحافظ بنصه.

يشير السمهودي بقوله هذا إلى ما روي عن الإمام مالك وغيره من أن المصحف الذي أرسله الحجاج كان في صندوق عند الأسطوانة التي جعلت علماً على المصلى الشريف، و ما دام أن أسطوانة السيدة عائشة ليست علماً على المصلى الشريف باتفاق فإن ما ذهب إليه الحافظان وغيرهما وَهْم.

ثم قرر السمهودي أن المراد بها الأسطوانة الملتصقة بتجويف المحراب النبوي في جهة القبلة إلى الغرب قليلاً، وأن موضعها الأول على يمين المحراب عند كرسي الشمعة، وأنها قُدِّمت إلى مكانها اليوم، وحجته الوحيدة فيما ذهب إليه كون المصحف المشار إليه في حديث سلمة ﷺ واقع عند هذه الأسطوانة التي هي عَلَمٌ على مصلى الرسول ﷺ كما نُقل ذلك عن الإمام مالك وغيره.

لكن لدى التأمل يظهر لنا بُعد ما ذهب إليه السمهودي رحمه الله، فهذه الأسطوانة على ما اتضح لنا سابقاً لم تكن في العهد النبوي حتى يتحرى النبي ﷺ الصلاة إليها، وعلى فرض وجودها يبعد أن يتحرى ﷺ الصلاة إليها وهي ملاصقة لمحرابه الشريف، ثم من أين للسمهودي الاتفاق على كون أسطوانة السيدة عائشة ليست علماً على المصلى الشريف؟ أليست هي إحدى

(١) وفاء الوفا ٨٨/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأسطوانات التي اتخذها النبي ﷺ مصلى له عندما حولت القبلة؟ فهي إذاً علم على المصلى الأول للنبي ﷺ. وما ذهب إليه الحافظان ابن حجر والعيني وغيرهما دليل على نقض هذا الاتفاق، إن لم نقل ترجيح لكون أسطوانة عائشة هي عَلَمٌ أيضاً على المصلى الشريف وهي المرادة في هذا الحديث؟

وما نقله السمهودي رحمه الله من الاتفاق على كون الصندوق المذكور في حديث سلمة بن الأكوع ﷺ هو الواقع قرب الأسطوانة التي جعلت علماً على المصلى الشريف غير مسلَّم، إذ التسليم له بذلك تجهيل لكل العلماء الذين خالفوا السمهودي في هذه المسألة، وفيهم أعلام المؤرخين والمحدثين. ثم لا نجد من نقل هذا الاتفاق قبل السمهودي، معظم المصادر التاريخية والحديثية قبل السمهودي التي أوردت حديث سلمة ﷺ لم تذهب إلى ما ذهب إليه، وعلى فرض أن الاتفاق حاصل؛ فلا يسلَّم له أن المراد بالأسطوانة المذكورة في الحديث هي الأسطوانة المخلقة التي أشار إليها؛ لأن ألفاظ حديث سلمة ليست نصاً في المراد، ففي البخاري[١] ومسلم[٢] والبيهقي[٣] (...**فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف**...)، وفي رواية لمسلم[٤] (...**أنه كان يتحرى موضع مكان المصحف يسبح فيه**...).

---

(١) ١٨٩/١، باب الصلاة إلى الأسطوانة.

(٢) ٣٦٤/١، باب دنو المصلي من السترة.

(٣) ٢٧١/٢، باب الصلاة إلى الأسطوانة/ ٢٤٧/٥، باب في أسطوانة التوبة.

(٤) ٣٦٤/١، الباب السابق.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعند ابن ماجه[١] وابن حبان[٢] (...**فيعمد إلى الأسطوانة دون المصحف فيصلي قريبا منها**...). فهذه الألفاظ المختلفة تحتمل عدة أسطوانات، ومن هنا نأى ابن النجار بنفسه عن هذا الخلاف وذكر الحديث تحت باب ذكر فضيلة الصلاة إلى أساطين المسجد، ثم ساق حديث سلمة ولم يُبيِّن موقع الأسطوانة المذكورة.

بقي علينا أن نعلم الأسطوانة المقصودة من حديث سلمة، ونرجح أن المراد بها أسطوانة التوبة للأسباب التالية:

١- ما ورد أن النبي ﷺ كان يصلي النفل إليها، فقد روى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله بن المهاجر عن محمد بن كعب (**أن النبي ﷺ كان يصلي نوافله إلى أسطوانة التوبة**) [٣].

٢ -وفي رواية لابن زبالة عن عمر بن عبد الله، (ولم يذكر فيها ابن كعب)، أنه قال في أسطوانة التوبة: (**كان أكثر نافلة النبي ﷺ إليها، وكان إذا صلى الصبح انصرف إليها، وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين وأهل الضر وضيفان**

---

(١) ٤٥٩/١، باب ما جاء في توطين المكان في المسجد.

(٢) ٥٩/٥.

(٣) أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٠١، الدرة الثمينة ص ١٦٨. هذا الأثر ضعيف، لأن فيه ابن زبالة، وعمر بن عبدالله بن المهاجر لم أقف على ترجمته، ومحمد بن كعب تابعي ثقة فيكون حديثه عن النبي ﷺ مرسلا. تهذيب التهذيب ٣٧٣/٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

النبي ﷺ والمؤلفة قلوبهم ومن لا مبيت له إلا في المسجد، قال: وقد تحلَّقوا حولها حِلَقاً بعضها دون بعض، فينصرف إليهم من مصلاَّه...) الحديث[١].

وهذه الروايات وإن كانت ضعيفة إلا أنها تقوي هذا القول، خاصة وأن من أوردها هم أهل الاختصاص بتاريخ المدينة المنورة والله أعلم.

٢ـ أسطوانة عائشة رضي الله عنها

وتعرف أيضاً بأسطوانة القُرعة، وأسطوانة المهاجرين، والأسطوانة المخلَّقة[٢]. وسبب تسميتها بهذه الأسماء يتضح من خلال الآثار الواردة في فضلها كما سيأتي.

تقع هذه الأسطوانة في وسط الرَّوضة الشريفة، وهي الثالثة من المنبر، والثالثة من القبر الشريف، والثالثة من القِبْلَة[٣]، انظر الشكل(٢)، كتب في أعلاها من الجهة الشمالية بخط بارز: «هذه أسطوانة السيدة عائشة».

وقد مرَّ معنا عند الحديث على المحراب النبوي أنه ﷺ صلى إليها بعد تحويل القبلة بضع عشرة ليلة ثم تحوَّل إلى مصلاَّه المعروف اليوم.

الآثار الواردة في فضلها

تقدم معنا عند الحديث على الأسطوانة المخلقة، خلاف العلماء في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وأن

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) التعريف ص ٩١، المغانم المطابة ٤٠٠/١، وفاء الوفا ١٧٥/٢، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين ٢٣١/٣، عمارة المسجد النبوي للشهري ص٦٥.

(٣) أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٠٠، وفاء الوفا ١٧٧/٢، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين ٢٣١/٣، تاريخ المسجد النبوي الشريف ص١٢٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعض العلماء ومنهم الحافظان ابن حجر والعيني ذهبا إلى أن المراد بها أسطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها.

وروى الطبراني في الأوسط من طريق أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا عتيق بن يعقوب، قال: حدثنا ابنا المنذر عبد الله ومحمد عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**إن في المسجد لبقعة قِبَل هذه الأسطوانة لو يعلم النَّاس ما صلَّوا فيها إلا أن يطير لهم فيها قُرْعة**) وعندها جماعة من أصحابه[1]، وأبناء المهاجرين، فقالوا: يا أم المؤمنين، وأين هي؟ فاستعجمت عليهم، فمكثوا عندها ساعة، ثم خرجوا، وثبت عبد الله بن الزبير، فقالوا: إنها ستخبره بذلك المكان، فأرمقوه في المسجد حتى ينظروا حيث يصلي، فخرج بعد ساعة، فصلَّى عند الأسطوانة التي صلَّى إليها ابنه عامر بن عبد الله بن الزبير، وقيل لها: أسطوانة القرعة[2].

وقال السمهودي: روينا في كتاب ابن زبالة عن إسماعيل بن عبد الله عن أبيه: «أن عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وثالثاً كان معهما دخلوا على عائشة رضي الله عنها فتذاكروا المسجد، فقالت عائشة: "إني لأعلم سارية من سواري المسجد لو يعلم النَّاس ما في الصلاة إليها لاضطربوا عليها بالسهمان"، فخرج الرَّجُلان وبقي ابن الزبير عند عائشة، فقال الرَّجلان: ما تخلَّف إلاّ ليسألها عن السّارية، ولئن سألها لتُخبرنَّه، ولئن

(١) هكذا عند الطبراني، وفي بعض المصادر «من أبناء الصحابة». انظر: فضائل المدينة للرفاعي ص ٤٨٦.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١/٢٦٤، رقم: ٨٦٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أخبرته لا يُعلِمُنا، وإن أخبرته عَمَد لها إذا خرج فصلَّى إليها، فاجلس بنا مكاناً نراه ولا يرانا، ففعلا، فلم ينشب أن خرج مسرعاً فقام إلى هذه السَّارية فصلَّى إليها متيامناً إلى الشق الأيمن منها، فعلم أنها هي، وسمِّيت أسطوان عائشة بذلك، وبلغنا أن الدعاء عندها مستجاب»[(١)].

وقال ابن زبالة: حدّثني غير واحد من أهل العلم منهم الزبير بن حبيب: «... أن النبي ﷺ صلَّى إليها بضع عشرة المكتوبة ثمّ تقدَّم إلى مصلاّه الذي وجاه المحراب في الصف الأوسط، أي: الرواق الأوسط، وأن أبا بكر وعمر والزبير بن العوام وعامر بن عبد الله كانوا يصلُّون إليها، وأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، وكان يقال لذلك المجلس مجلس المهاجرين»[(٢)].

٣ـ أسطوانة التوبة

وتسمى أسطوانة أبي لبابة، نسبة إلى الصحابي الجليل أبي لبابة بَشِير بن عبد المنذر[(٣)] الأنصاري ﷺ، وسبب تسميتها بهذه الأسماء يتضح من خلال الآثار الواردة في فضلها كما سيأتي.

تقع هذه الأسطوانة وسط الرَّوضة الشريفة، شرقي أسطوانة السيدة عائشة، مجاورة لها، وهي الرابعة من المنبر، والثانية من القبر الشريف،

(١) رواه ابن زبالة في أخبار المدينة ص ١٠٠، وابن زبالة كذبوه.

(٢) رواه ابن زبالة في أخبار المدينة ص ١٠١، وذكره ابن النجار في الدرة الثمينة ص ١٦٩.

(٣) هو بَشير بن عبد المنذر الأنصاري المدني أحد النقباء، مشهور بكنيته أبي لبابة، يقال: شهد بدرا، وشهد العقبة، توفي في خلافة علي ﷺ، وقيل: بعد الخمسين. تهذيب التهذيب ١٩٢/١٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والثالثة من القِبْلَة[١]، انظر الشكل (٣)، بينها وبين القبر الشريف عشرون ذراعاً، وبينها وبين مصلَّى النبي ﷺ سبع عشرة ذراعاً[٢]، كتب في أعلاها من الجهة الشمالية بخط بارز: «**هذه أسطوانة التوبة**».

وقد فهم ابن فرحون من قول ابن زبالة فيما رواه عن ابن عمر: "أنها الثانية من القبر" أنها اللاصقة بالشباك، فاعتبر الأسطوانة اللاصقة بجدار القبر والتي زادها عمر بن عبد العزيز عند بنائه للحجرة الشريفة هي الأولى، وهذا غير صحيح، لأن ابن عمر لم يدرك ذلك، وقد علم من كلامهم في أسطوان السيدة عائشة أنهم لا يعدّون اللاّصقة بجدار القبر لما تقدّم من قولهم فيها: إنها الثالثة من المنبر والثالثة من القبر، ولو عدّوا اللاصقة بجدار القبر لكانت الرابعة من القبر[٣].

قال السمهودي: «وفيها اليوم هيئة محراب من الجص تتميّز به عن سائر الأساطين، لكنه أزيل في الحريق الثاني»[٤].

الآثار الواردة في فضلها

تقدم معنا عند الحديث على الأسطوانة المخلقة، خلاف العلماء في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وأن بعض العلماء ومنهم البيهقي والفيروزابادي

(١) أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٠٠، وفاء الوفا ١٧٧/٢، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين ٢٣١/٣.

(٢) أخبار المدينة لابن زبالة ص ٨٤، ١٠٢، وفاء الوفا ٩٣/٢، ١٨٢.

(٣) انظر: وفاء الوفا ١٨١/٢ – ١٨٢.

(٤) وفاء الوفا ١٨١/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قد ذهبا إلى أن المراد بها أسطوانة التوبة، وتبيّن لنا أسباب ترجيحنا لهذا القول.

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ **(أَنَّهُ كَانَ إِذَا اعْتَكَفَ طُرِحَ لَهُ فِرَاشُهُ أَوْ يُوضَعُ لَهُ سَرِيرُهُ وَرَاءَ أُسْطُوَانَةِ التَّوْبَةِ)** (١).

وفي رواية: **(مما يلي القبلة يستند إليها)** (٢).

وعند مسلم قال نافع: وقد أراني عبد الله بن عمر المكان الذي كان رسول الله ﷺ يعتكف فيه من المسجد(٣).

وروى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله بن المهاجر عن محمد بن كعب أن النبي ﷺ **(كان يصلي نوافله إلى أسطوان التوبة)** (٤).

وفي رواية لابن زبالة عن عمر بن عبد الله، (لم يذكر فيها ابن كعب)، أنه قال في أسطوان التوبة: «كان أكثر نافلة النبي ﷺ إليها، وكان إذا صلى الصبح انصرف إليها، وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين وأهل الضر وضيفان النبي ﷺ والمؤلفة قلوبهم ومن لا مبيت له إلا في

---

(١) رواه ابن ماجة ٥٦٤/١، رقم: ١٧٧٤، باب في المعتكف يلزم مكاناً في المسجد، والبيهقي ٢٤٧/٥، رقم: ١٠٠٦٤، باب في أسطوانة التوبة، والطبراني في المعجم الكبير ٣٨٥/١٢، رقم: ١٣٤٢٤، والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري موقوفاً على ابن عمر وسكت عنه، وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٣٥٦/٤: «الْحَدِيثُ رِجَالُ إسْنَادِهِ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ثِقَاتٌ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ عَنْ نَافِعٍ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إذَا اعْتَكَفَ...إلخ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ».

(٢) البيهقي ٢٤٧/٥، الباب السابق، والطبراني في المعجم الكبير ٣٨٥/١٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان. ٨٠٣/٢.

(٤) أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٠١، الدرة الثمينة ص ١٦٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المسجد، قال: وقد تحلَّقوا حولها حِلَقاً بعضها دون بعض، فينصرف إليهم من مصلاَّه من الصّبح، فيتلو عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته، ويحدثهم ويحدثونه، حتى إذا طلعت الشَّمس جاء أهل الطَّوْل والشَّرف والغنى فلم يجدوا إليه مجلساً، فتاقت أنفسهم إليه وتاقت نفسه إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ (الكهف: ٢٨) إلى منتهى الآيتين، فلما نزل ذلك فيهم قالوا: يا رسول الله اطردهم عنّا، ونكون نحن جلساؤك وإخوانك ولا نفارقك، فأنزل الله عزوجل ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾(الأنعام: ٥٢) إلى منتهى الآيتين[1].

٤ـ أسطوانة السرير

تقع هذه الأسطوانة داخل المقصورة لاصقة بشباك الحجرة، شرقي أسطوانة التوبة، وسُمِّيت بذلك لأن سرير النبي ﷺ كان يوضع في هذا المحلّ أثناء اعتكافه في المسجد[2].

وهي غير الأسطوانة البارزة في جدار المقصورة والمكتوب عليها (هذه أسطوانة السرير) فهذه نصف أسطوانة أُحدِثت في المسجد زمن الأشرف

(١) أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٠١ -١٠٢، وتقدّم الكلام على السند في الأثر السابق.
(٢) وفاء الوفا ١٨٤/٢. وسيأتي تخريج الحديث.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قايتباي عند بناء القبة الكبيرة على الحجرة الشريفة وإنما كتب عليها ذلك لكونها مقرونة إليها[١].

الآثار الواردة فيها

أسند ابن زبالة ويحيى عن محمد بن أيوب (**أنه كان للنبي ﷺ سرير من جريد فيه سَعَفه يوضع بين الأسطوان التي تُجاه القبر وبين القناديل، كان يضطجع عليه رسول الله ﷺ**) [٢].

وقال البدر ابن فرحون: روينا بالسند الصحيح إلى ابن عمر رضي الله عنهما (**أن النبي ﷺ كان إذا اعتكف يطرح له وسادة، ويوضع له سرير من جريد فيه سَعَفه، يوضع له فيما بين الأسطوان التي وُجاه القبر الشريف وبين القناديل، وكان رسول الله ﷺ يضطجع عليه**) [٣].

وتقدّم أن سرير النبي ﷺ كان يوضع وراء أسطوانة التوبة، ويمكن أن يُحمل ذلك على أنه كان يوضع تارة عند أسطوانة التوبة، وتارة عند أسطوانة السرير[٤]، أو أن السرير كان يوضع عند أسطوانة التوبة قبل توسيع المسجد، ولما زيد في مسجده ﷺ نقل إلى هذا المحل[٥]، أو يقال: إن

(١) نزهة الناظرين ص ٦١. وانظر وفاء الوفا ٣٩٢/٢.

(٢) أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٠٣، وفاء الوفا للسمهودي ١٨٣/٢. ومحمد بن أيوب لم يدرك النبي ﷺ فيكون الأثر مرسلاً.

(٣) نصيحة المشاور ص ١٦، ونقله عنه السمهودي في وفاء الوفا ١٨٤/٢.

(٤) وفاء الوفا ١٨٤/٢.

(٥) خلاصة الوفا ص ٦٥، نزهة الناظرين ص ٦١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السرير كان يوضع بين الأسطوانتين، فمن قال كان يوضع عند أسطوانة السرير فقد صدق، ومن قال كان يوضع عند أسطوانة التوبة فقد صدق[١].

وتعرف كذلك بأسطوانة علي بن أبي طالب ﷺ[٢].

٥ـ أسطوانة المحـــــرس

وتقع خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال،[٣] وكانت مقابل الخوخة التي كان النبي ﷺ يخرج منها إذا كان في بيت عائشة رضي الله عنها إلى الرَّوضة للصلاة[٤].

وسمِّيت بذلك لما روى يحيى قال: حدثنا موسى بن سلمة قال: سألت جعفر بن عبيد الله بن الحسين عن أسطوان علي بن أبي طالب فقال: إن هذه المحرس، كان علي بن أبي طالب ﷺ يجلس في صفحتها التي تلي القبر مما يلي باب رسول الله ﷺ يحرس النبي ﷺ[٥].

٦ـ أسطوانة الـــوفـــود

تقع هذه الأسطوانة خلف أسطوانة الحرس من جهة الشّمال، وهي آخر أسطوانات الرَّوضة الشريفة مما يلي الصَّحن، مكتوب عليها «هذه أسطوانة الوفود»[٦].

وسمِّيت بذلك لأن رسول الله ﷺ كان يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته[٧].

---

(١) المسجد النبوي عبر التاريخ لمحمد السيد الوكيل ص ٥٤.

(٢) الدرة الثمينة ص ١٧٠، وفاء الوفا ١٨٤/٢.

(٣) المغانم المطابة ٤٠٢/١، وفاء الوفا ١٨٥/٢، نزهة الناظرين ص ٦١.

(٤) التعريف ص ٩٢، المغانم المطابة ٤٠٢/١، وفاء الوفا ١٨٥/٢.

(٥) المغانم المطابة ٤٠٢/١، وفاء الوفا ١٨٤/٢

(٦) وفاء الوفا ٤٤٩/٢، تاريخ المسجد النبوي ص١٣١ -١٣٢، عمارة المسجد النبوي للشهري ص ٦٣.

(٧) المصادر السابقة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتعرف كذلك بمجلس القلادة، لأنه كان يجلس إليها سروات الصحابة وأفاضلهم رضي الله عنهم[١].

وبناء على ما تقدم يتضح لنا أن أسطوانة المحرس تقع خلف أسطوانة التوبة مباشرة من الجهة الشمالية، وخلفها أيضاً أسطوانة الوفود؛ بينما نجد أن اسمي هاتين الأسطوانتين قد كتبا على الأسطوانتين الموازيتين لهما من الشرق وقد أوضح البرزنجي في نزهة الناظرين،[٢] أن ذلك جاء عن طريق الخطأ، ويرجح أن هذا الخطأ حدثت في المائة العاشرة أيام السلطان سليم حين أمر بترخيم أساطين المسجد الشريف، ولعلّ الغلط – كما يقول البرزنجي -نشأ عن ما ذهب إليه ابن فرحون من أن أسطوانة التوبة هي اللاصقة بالشباك، ومن المعلوم أن أسطوانة المحرس والوفود تقعان خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال، فكتبوا على الأسطوانتين اللاصقتين بالشباك خلفها ما ذكر ظناً منهم صحة ما قاله ابن فرحون، وقد حاول البرزنجي في العمارة المجيدية التي حدثت سنة ١٢٧٧هـ إقناع المسئولين تحديد الموقع الصحيح لهما، إلاّ أن رأيه المدَّعم بالأدلّة والبراهين لم يجد

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: نزهة الناظرين ١٦٢ -١٦٤، وقد نقله عنه أيوب صبري باشا في كتابه موسوعة مرآة الحرمين الشريفين ٢٣٧/٣ -٢٣٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قبولاً لدى المسئولين عن عمارة الحرم رغم اقتناع الكثيرين من أهل المدينة آنذاك بصحة رأيه[١].

٧ـ أسطوانة مربّعة القبر

وتعرف أيضاً بأسطوانة مقام جبريل عليه السلام[٢].

وتقع في حائز عمر بن عبد العزيز عند منحرف الصفحة الغربية منه إلى جهة الشّمال في صفّ أسطوانة الوفود، بينهما الأسطوانة اللاَّصقة بالشباك داخل المقصورة التي شرقي أسطوانة الوفود[٣].

وهذه الأسطوانة حجبها المشبك الخارجي الذي أحيط بالحجرة الشريفة في عهد قايتباي سنة ٨٨٧هـ[٤].

الآثار الواردة فيها

أسند ابن زبالة ويحيى عن سليمان بن سالم عن مسلم بن أبي مريم وغيره: كان باب بيت فاطمة بنت رسول ﷺ في المربَّعة التي في القبر، قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظَّك من الصَّلاة إليها؛ فإنها باب فاطمة رضي الله عنها الذي كان علي ﷺ يدخل عليها منه[٥].

---

(١) عمارة المسجد النبوي للشهري ص ٦٣ – ٦٤.

(٢) وفاء الوفا ١٨٦/٢.

(٣) وفاء الوفا ١٨٦/٢.

(٤) وفاء الوفا ١٧٨/٢، عمارة المسجد النبوي للشهري ص ٦٦.

(٥) أخبار المدينة لابن زبالة ص ١٠٣، وفاء الوفا ١٨٦/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأسند يحيى عن أبي الحمراء ﷺ قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي بَابَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَيَقُولُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمُرُّ بِبَابِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى صَلاةِ الْفَجْرِ يَقُولُ الصَّلاةَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [1].

(١) رواه الترمذي ٣٥٢/٥، رقم: ٣٢٠٦، وقال: حسن غريب من هذا الوجه/ باب ومن سورة الأحزاب، وأحمد في المسند ٢٨٥/٣، رقم: ١٤٠٧٢، وابن أبي شيبة في المصنف ٣٨٨/٦، رقم: ٣٢٢٧٢، والطبراني في المعجم الكبير ٥٦/٣، رقم: ٢٦٧١.